من الأدب القصصي الروسي

في الظـــلام ...

للكاتب الروسي أنطونه تشيكوف

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

الكون غارق في السكون ... والفضاء العريض يموج في رهبة ، وقد هجع كل حي إلى مضجعه يتقلب في جنوبه ... والطير قابعة في أوكارها تحتضن صغارها ... حتى من وُكِّلَ إليه الأمن قد سرت سنة من النوم إلى جفونه فراح يغطُّ في خفقة وسُبات .

ولف ظلام السحر كل شيء سوى غَلَس الصبح الوليد في الشرق وهو يتجلبب بصفرة شاحبة ... وعلى حين فجأة ولجت ذبابة أنف « جاجن » مساعد المحصل ... لعلَّ حب الاستطلاع أو نزق الطيش هو الذي دفعها إلى ذلك العمل ، أو لعلها الصدفة المحضة ...

بيد أن خياشيم الأنف ساءها ذلك الدخيل فانفكَّت تعطس وتعطس ... فأفاق « جاجن » إبان هذه الموجة الحادة من العطس وقد بلغ من حدتها أنها كانت ترجّ الفراش رجاً عنيفاً ...

أما زوجة « جاجن » وتدعى « ماريا ميلوفا » — وهي امرأة مفَاضَةٌ فارعة حسناء الوجه — فهبَّت في هيمة وفزع ، وقلبت طرفها يضرب في حلكة الظلام الدامسة ، وحملقت فينة ثم انطرحت على جانبها الآخر . ولم تلبث بعد فترة وجيزة أن عادت إلى ما كانت عليه ، وأرخت أهدابها عسى النوم يدبّ في عينيها ثانية ... ولكن هيهات فقد سرى السهاد إليهما فلم يغمض لها جفن ...

نهضت من فراشها ، واحتذت نعليها وقامت إلى النافذة حيث تجوّل بصرها في أكناف ذلك الليل البهيم ... وقد بدت فيه سامقات الشجر كأنها عمالقة من الشياطين ... وندّت عن « ماريا » صيحة فيها عجب وفيها فزع قطعت الصمت الذي شاع في ثنايا الظلام . كانت تحملق أمامها وقد ثبت بصرها على شبح يتسلل في رفق وحذر إلى صحن الدار ... فدار بخلدها أنه ربما كان جواداً نافراً ، ولكن مقلتيها ما لبث أن وضح لها ذاك الشبح فإذا به رجل يتشح بالظلام . وأومض بعقلها أنه لص في سبيل السرقة . فاكتسى وجهها شحوباً أضفاه عليه الذعر وصفرة الغلس ...

وفي لحظات نشط ذهنها يصوّر بيراع الخيال أوهاماً وأوهاماً . قوامها سيدة تعيش في الريف ، ثم سارق يتلصص خفية إلى حجرة المطبخ ... ومن المطبخ إلى حجرة الطعام ... وثمّت الأشياء الفضية من ملاعق وقواطع ... وبعدئذ إلى مخدع النوم وفي يده فأس حيث يعثر على الحلي والنقود ... ولم تلبث أن هوت ركبتاها ، وسرت رعدة من أم رأسها إلى أخمص قدميها ...

راحت تهزّ زوجها وتهتف في هلع « فاسيا ... باسيل ... انهض ... آه يا إلهي لكأنه فارق الحياة ... استيقظ أيها الرجل باسيل أتوسل إليك ... انهض ... » فتبع مساعد المحصل في فراشه ، وقال في صوت شابه اضطراب في قرارة نفسه « حسناً ! » .

— « بالله أفق ... هناك سارق تسلل إلى المطبخ ، لقد كنت قائمة عند النافذة ، عند ما لمحته يختفي في نافذة المطبخ ... إنه بلا ريب سيجتازه إلى غرفة الطعام حيث الملاعق في الصوان .. باسيل ! ألا تدري أنهم هاجموا « ماقرا يجروفنا » في العام الماضي ؟! »

— « هه ... ما الذي حدث ؟ ! » .

— « آه !.. يا للسماء . إنه لم يدرك بعد ما أنطق به ... انصت أيها الأبله ، هناك لص ولج نافذة المطبخ ، وسوف يتخلع فؤاد « بلاجا » فزعاً وفرقاً ... هذا مع أن الأشياء الفضية في الصوان بغرفة الطعام ... » .

— « هذا حديث لَغَبٌ ؟.. » .

— « باسيل ... لا أطيق ذلك ... أخبرك بالخطر الجاثم ، وأنت تفحفح في نومك غير ذي بال ؟ ! ما الذي ترجو من وراء ذلك ؟ ! أتشاء أن تجرَّد من أموالنا وحاجياتنا ؟ » .

فثاب مساعد المحصل إلى نفسه وقام من فراشه يملأ صدره بنسيم السحر المنعش . ثم تثاءب في تؤدة وتمهّل ... وراح يتمتم :

— « ليس ثمت من يقف على سريرة تلك المخلوقات الضعيفة العجيبة ... النساء .

سوى الله !. أما بمقدورك أن تتركى الإنسان يغمض جفنيه جنحاً من الليل لا تزالين تهزينه حتى يستيقظ ، فتطرق سمعه بهذا اللغو ! » .

— « ولكن أقسم يا باسيل أنى لمحته وهو يداف إلى حجرة المطبخ ! » .

— « وما الذى يثير عجبك من ذلك ؟! إنه بلا شك الجندى الذى يعشق « بلاجا » وتعشقه ... ويسرى إليها على الدوام فى هزيع الليل ... » .

— « هه !.. ما الذى تقوه به ؟!.. » .

— « ... إنه الجندى الذى يعشق « بلاجا » ... » فصاحت « ماريا ميلوفنا » فى زجير .

« علة أقبح من العذر ... إن التلصص أخف وطأة منها ... لست أرضى عن هذا الفاسق بدارى ... » .

— « عجباً ... إننا طهيرا الثوب عفيناه ... فما الذى يضيرنا من وجود هذين الفاسقين ؟! وماذا نفيد من تدويم هذه الكلمات الجوفاء ؟ يا فتاتى إنها الحياة ... وهكذا جبل الخلق منذ فطر العالم وما هذا الجندى بملاك يعف عما درج عليه غيره ... » .

— « كلا يا باسيل ... فهذا ما لا يتفق وهواى ... إنى لا أكاد أتصور أن مثل هذا !. يحدث فى عقر دارى ... ينبغى عليك أن تهم إلى المطبخ ، وتطرد هذا الفاسق شر طردة وفى الغداة سأنهى إلى « بلاجا » أنها ستفقد عملها إن هى عادت فسلكت هذا السبيل الشائن ، وحين أغادرك إلى ظلمة القبر وأودع الحياة ... فافعل ما يحلو لك ... ولكن إياك أن تأتى ذلك ، وأنا على قيد الحياة ... ياسيل ! أتومل إليك أن تقوم إليهما ... » ، فقال « جاجن » فى تهيم وتذمر :

« عليك لعنة الله ... بالله تدرى بمنظارك النسائى الضعيف : ما التى أفعله لها ؟ ! » .

— « باسيل ! . إنى لأحس أن الإغماء يغشينى ... » .

فعجل « جاجن » بوضع قدميه فى نعليه ... وراح يهمر لعناته فى سبيله إلى المطبخ ...

وكان الظلام يطوى كل شىء تحت مطارفه السود ... فراح مساعد المحصل يتلمس طريقه فى حذر ... واتخذ وجهته نحو غرفة الأطفال ، وأيقظ الحاضنة قائلا فى تحيط :

« لقد أخذت معطفى لتنظيفه مما علق به ! . فأين هو ؟ ! يا « فاسيليا » ! » .

« لقد ناولته « لبلاجا » لتنظفه ... يا سيدى ! » .

— « يا للعبث ... أنت تأخذينه ثم تردينه !.. ماذا اطرح على جسدى الآن ؟ ! » .

* * *

وما كاد يصل إلى المطبخ حتى اتخذ سبيله إلى ركن قام فيه صندوق من الخشب رقدت عليه الطباخة « بلاجا » ... فقال وهو يتحسس كتفيها ، ويهزهما فى عنف « ... بلاجا !.. بلاجا !.. لا تدعى النوم أيتها الخبيثة الماكرة ... من الذى ولج غرفتك منذ برهة وجيزة ؟ ! » .

— « سى !. سى !. سيدى ! عم صباحاً : من الذى يجرؤ على ولوج غرفتى ؟ ! » .

— « آه ... دعينا من هذا النفاق والإنكار فليس هناك مجال لتصديقهما . انهضى ... لقد أسرى ذلك الشرير إلى غرفتك ، وأنت راضية عن ذلك !. ألا تسمعين ؟ وليس هناك ما يدعوه إلى الحضور سوى أنت ! » .

— « هه !. سيدى ... أمسستك لوثة من الشيطان ، فتقذفنى بهذا الهذيان ؟ !

رحماك يا رب ... أظننتنى بلهاء ساذجة ؟. أشق هنا سحابة يومى ولا أركن للراحة ولو لحظة ... وتأتى فى هزيع الليل فتحدثنى هكذا !. ولا أتقاضى عن كدى وإخلاصى فى خدمتكم سوى أربع روبلات فى الشهر ... إنى لأرغب العيش عند تاجر من التجار على أن أقابل بمثل هذا الجحود والإهانة ! » .

— « انهضى !. انهضى .. لا سبيل إلى التنصل بالشكوى والتذمر ... آه ... لابد أن يغادر عشيقك هذه الغرفة فوراً ..! أوعيت ما أقول ؟!. » .

فقالت « بلاجا » وقد هدجت من صوتها بوادر الدمع :

« لابد أن هذا يخجلك يا سيدى !. أهكذا تفعلون معشر المتعلمين ؟ أتسمح لكم أنفسكم أن تتهمونا وتقسوا علينا بدلا من أن ترفهوا عنا ، وتفرجوا عن أنفسنا ؟! نعم من السهل عليكم أن تهينونا ..

فليس هناك من ينبرى لنصرتنا ويقف إلى جانبنا » وانفجرت الدموع من عينيها فراحت تنوح وتئن ...

— « هيا ... انهضى ... فما يجوز على هذا الخداع ... لقد أرسلتنى سيدتك لأخبرك أنها رأت شريراً يدلف إلى غرفتك ! » ولكن « بلاجا » راحت تديم نواحها ونشيجها ... فلم يجد « جاجن » بدا من أن يعترف من قرارة نفسه أنها مظلومة طاهرة وقد ألصق بها هذه التهمة الشنعاء إفكا وبهتاناً ...

وهمّ بالعودة إلى زوجته وهو يقول : « بلاجا ... لقد أخبرتنى «فاسيليا» أنها ناولتك معطفى لتنظيفه مما علق به فأين وضعتيه ؟! »

— « آه ... معذرة يا سيدى ... لقد غفلت عن وضعه على مقعدك ... إنه معلق هناك على المشجب القريب من الموقد ! » .

فطرحه « جاجن » على منكبيه ، ومضى فى هدوء إلى غرفة زوجه ...

* * *

أما « ماريا ميلوفنا » ، فلبثت تنتظر بعلها فى قلق وهى تهس وتهجس :

— لقد مضى منذ حين ولم يؤب ! لعل ذلك الجندى الشرير ليط به الأرض ... لعل ... لعل ...

وعادت تصور ببراع الخيال صورة لزوجها ، وهو يمضى فى ظلام المطبخ ... ضربة على أم رأسه من فأس ... موت بلا نبس ، ودم يتدفق من جروح مثخنة ... وانقضت إثر ذلك خمس دقائق فى إثرها خمس ... ثم نصف ساعة ... وأخيراً ها هى ذى الساعة قد بلغت السادسة ودقاتها ترن فى جوف الليل البهيم فتزيده رهبة وجلالا ... فتبلبل مجيئها بعرق بارد وهى غارقة فى فراشها ، وصاحت على غرة : « باسيل ... باسيل ... » فأجابها صوت زوجها على مقربة : « ما ذا دهاك ؟ ! لم تصرخين هكذا ؟ ها أنذا ... »

— أأصابك سوء ؟!

— سوء ؟ كلا ...

ومضى إلى حافة الفراش وهو يقول :

— « ليس هناك أحد على الإطلاق ! إنها أوهامك وقسوتك على هاته المخلوقات ... إن بلاجا لا تقل عنك عفافاً وصوناً ... كم أنت حمقاء ! كم أنت ... » .

وراح ذلك السيل من السباب واللعن يتدفق من فم « جاجن »

لقد داعب الأرق جفونه فعبثاً يحاول النوم ثانية ... فقال وهو يضحك :

إنك لواهمة ، مجهدة الأعصاب ... وبعوز نفسك المضطربة فترة من الراحة ... يجمل بك أن تنهبى فى الغداة إلى الطبيب فتخبره بهذه الأوهام والخيالات ... فيتبصر فى حالتك ويصف لك ما يريح أعصابك المكدودة » ...

فقاطعته زوجه قائلة :

— « ما هذا ! ! رائحة ... قطران ! ! أو شىء آخر كالثوم أو البصل إن هذا يتخلل أنفى فى حدة ... » .

— « نعم ! ثمة رائحة غريبة ... لست بنائم ... سأشعل الشمعة ، أين أعواد الكبريت ... آه تذكرت ، سأعرض عليك صورة لمحصل تصر « جستيل » العظيم ... فقد أعطى كل من كان فى المكتب نسخة من صورته عندما ودعنا البارحة ... » .

أشعل « جاجن » الشمعة وقبل أن يخطو خطوة لإحضار الصورة رنّت فى أذنه صرخة ندّت عن زوجته ... فلما التفت إليها رآها تحملق فيه وقد اتسعت مقلتاها واستقرت عليه ... يطل منهما الفزع والهلع والعجب والسخط فى آن واحد ...

صاحت زوجته وقد علا وجهها الشحوب : « أتناولت معطفك من المطبخ ؟ ! » .

— « لِمَ ؟ ! » .

— « انظر إلى نفسك ! » .

وما كاد يبصر « جاجن » ما على جسده حتى راح يحدق فى عجب وذهول ... لم يكن مطروحاً على كتفه معطفه بل معطف الجندى الشرير ... ماذا أتى به إلى هنا ؟ ! ! وبينما كان يوجه إلى نفسه هذا السؤال ... قالت زوجته فى غمغمة نمت عن سخرية وسخط « أتقول ؟ إن (بلاجا لا تقل عنى عفافاً وصوناً) ... أيها الخنزير الأبله »

ثم غرقت فى شعاب الفكر وعاد براع الخيال يرسم صورة مخيفة : ظلام ... هدوء ... همس !.. و !..

(طنطا) مصطفى جميل مرسى

استدراك :

حدث خطأ مطبعى فى عنوان قصتنا التى نشرت فى العدد (٦٣٨) وهو « حينما كان طيباً » والأصل « حينما كان صبياً » فبذلك يستقيم معنى العنوان مع سياق القصة .

حاليـــــا

ستوديو مصر يقـــدم بلبل الشرق

الموســـيقار فريد الاطرش

مـــع

مريحة بسرى ، محمد البطار ، أمينة نور الدين

ونخبة من أمراء الفكاهة فى مصر

فى أعظم الأفلام الغنائية الفكاهية

شهـــر العســـل

من أول أكتوبر ٤ حفلات يومياً

بسينما ستوديو مصر بالقاهرة وريفولى بالاسكندرية

محكمة المنزلة الأهلية

إعلان بيع فى القضية المدنية نمرة ٥٢٤ سنة ١٩٣٥

إنه فى يوم الأحد ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنجى صباحا وما بعدها بسراى المحكمة : سيصير إشهار مزاد العقار الآتى بيانه بعد الملوك إلى حسين حسن عزام من المطرية مركز المنزلة دقهلية .

وهذا البيع كطلب مصلحة الأملاك الأميرية وبناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١١ يونية سنة ١٩٤٤ ومسجل بمحكمة المنصورة فى ١٧-٦-١٩٤٤ ن ٣٣٤ جزء ٣٣ وفاء لسداد مبلغ ١١٦ جنيه ١٤٧ مليم بثمن أساسى قدره ٩١ جنيه ٦١٤ مليم خلاف المصاريف .

بيان العقار .

س	ط	ف	
٢٣	٠	١	قطعة ضمن ١ حوض ن٢١
٨	٠٠	٣	» » ١١ » ٢٤
١	٤	١	» ضمن ٢٧
١٩	١١	٠٠	قطعة ضمن » ٢٦ بحوض ن٤، ٢١
٢٠	١٩	١	قطعة ضمن ن ١٠ » ن٥ و ٢١
٠٠	٠٠	١	» » ن٦ . » ن ٢٣
١٢	٩	٢	» ن ٩ » ٣٧ و ٢٢
١٠	١٩	٣	مكلفه ضمن ١ بحوض ن ٨ و ن ٢٢
٢١	١٧	١٤	فقط أربعة عشر فدانا وسبعة عشر

قيراطاً وواحد وعشرون سهماً بزمام الصلاحات مركز دكرنس . فعلى من يرغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه

ظهر حديثاً كتاب :

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

أحمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ قرشاً

سكك حديد الحكومة المصرية

تسيير عربة ديزل بين القاهرة والمنصورة

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٥ تسير عربة ديزل علاوة (دوجة أولى وثانية) بين القاهرة والمنصورة وتقف بالزقازيق فقط كالمبين بعد : —

١ — يغادر الدور رقم ٩٤٣ القاهرة فى الساعة ١٥ ١٧ ويصل إلى المنصورة فى الساعة ٤٠ ١٩

٢ — يغادر الدور رقم ٩٣٦ المنصورة فى الساعة ٤٥ ٧ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ١٠ ١٠ وذلك وفقاً للمواعيد الآتية: —

المحطات	٩٤٣ عربة ديزل درجة ١ و ٢	المحطات	٩٣٦ عربة ديزل درجة ١ و ٢
مصر ... ... قيام	١٥ ١٧	المنصورة قيام	٤٥ ٧
الزقازيق ... ... وصول	٣٠ ١٨	الزقازيق ... ... وصول	٥٠ ٨
الزقازيق ... ... قيام	٣٥ ١٨	الزقازيق ... ... قيام	٥٥ ٨
المنصورة ... ... وصول	٤٠ ١٩	مصر ... ... وصول	١٠ ١٠

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)